

٤

الحضارة فى مفهوم الإسلام

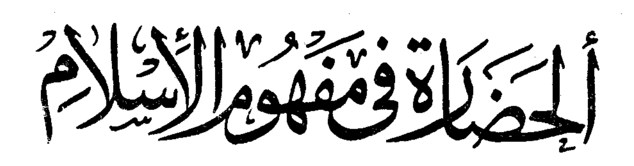
أنور الجندى



بالقاهرة

على طريق الأصالة الإسلامية

٤



تأليف

أنور الجندي

دار الأنصار

مكتبة - طباعة - نشر - توزيع

١ شارع البستان [illegible]

ت ٩٣١٥٨١

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول المسلم النمسوى محمد أسد (ليوبولدفابس) أن الحضارات المختلفة قامت ونشأت رويدا رويدا من تراث الماضى بما حوى من ضروب الرأى وتيارات الفكر التى استغرقت فى تبلورها الى شكلها الخاص وكيانها المحدد آمادا طويلة من الزمن ، فلقد انفردت (حضارة الاسلام) وحدها بانبجاثها الى الحياة دون سابق عهد أو انتظار . وقد جمعت فى فجر نشأتها كل المقومات الاساسية لحضارة مكتملة شاملة، فقامت فى مجتمع واضح المعالم ، له نظرته الخاصة الى الحياة وله نظامه التشريعى الكامل ، وله نهجه المحدد لعلاقات الافراد بعضهم ببعض داخل هذا المجتمع . ولم يكن قيامها ثمرة تقاليد ذخر بها الماضى ولا وليد تيارات فكرية متوارثة ، ولكن هذه الحضارة كانت وليدة حدث تاريخى فريد هو تنزيل القرآن الكريم وكان مردها الى رجل فذ فى التاريخ هو محمد رسول الله . فلقد ادرك الذين آمنوا بالاسلام واتبعوا محمدا وصدقوا بالقرآن فاتخذوه قاعدة حياتهم — ان الدين الجديد الذى

جاءهم به القرآن يتطلب منهم هجرة بائنة الى ماجاءهم به عما توارثوه من عقائد فى الحياة وما الفوه من مناهج السير فيها ، فكان قبولهم لما جاء به بداية حدث جديد فى حياة البشر وتاريخهم ، اذ أنهم أدركوا أن الاسلام وقد جاء نظاما شاملا للحياة قد افتتح حقا حضارة حديثة وما كان دوره ليقتصر على التمهيد لغيره من الحضارات أو الارهاص بها فتبينوا كما تبين من جاء بعدهم أن مبعث رسول الله كان ايذانا ببدء عهد جديد بكل ما ينطوى عليه هذا البدء من حقائق ومعان ولن نفهم من هذا أن الاسلام قد قطع كل صلة بين حضارته وبين الماضى فذلك فهم لا يقبله العقل أو يستسيغه ، لان كل كائن عضوى لا يمكن أن يوجد دون أسلاف وآباء ، فلن تدهش اذن حين نرى أن ما جاء به رسول الله — على ما هو عليه من جدة فى النظر الى الكون والحياة ومن استحداث نظام اجتماعى كامل — يتضمن كثيرا مما جاءت به الاديان ، ويتحدث عن كثير من الفضائل الخلقية التى كانت لدى من سلف من قبله ولم يتنكر لهذه الفضائل ... والحقائق أحد من أهل الاسلام ، بل لقد كان القرآن الكريم ذاته أصرح ما يكون اعترافا بها وتسليما » .

وعندنا أن الاسلام قدم للبشرية مفهوم التحضر الاصيل وهو الانتقال من :

أولا : عبادة الاوثان والتماثيل والسحر والشعوذة والاساطير والخرافات ومن عبادات التثنية والتعدد الى عبادة الله الواحد الحق لا شريك له وانه قضى على آخر صور الانحراف وهى الشرك فأعلن أن الله غنى عن الشركاء وأنه صاحب الامر كله وأنه لا وسيط بينه وبين خلقه .

ثانيا : عبادة القيصر والامبراطور وعبادة الآلهة وانصاف الآلهة من البشر ، والتحرر من نظام العبودية كله الذى كان قائما اذ ذاك فى فارس والروم ومصر والهند .

ثالثا : انه دفع البشرية الى مرحلة الفكر والذكر والنظر فى ملكوت السموات والارض لمعرفة الصانع، والنظر فى آثار الاقدمين لمعرفة كيف قامت الامم والحضارات ولماذا انهارت (قل سيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) .

واعتبر الذكر والفكر فريضة واعتبر الغفلة ذنبا يستوجب العقاب .

(وقالوا : لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم) .

وبذلك انتقلت البشريةالى مرحلة الايمانالخالص والنظرة فى خلق السموات والارض لمعرفة الخالق ، ولاستكفاء سر الحياة والبحث عن مصادر الثروة وبذلك كان الاسلام مصدرا لنشوء (المنهج العلمى التجريبى) الذى اهتدى اليه علماء المسلمين بعد أن عاشت البشرية فى ظل منهج التأمل والنظر العقلى الخالص ومفهوم المقايسات المنطقية والعقلية وحدها، وبذلك نقل الاسلام البشرية الى حضارة التجريب وصحح آراء العلماء القدامى فى الفلك والطب وانشاء علوم الجبر واللوغريتمات والازياج وعلم الضوء ودفع البشرية الى آفاق عالية فى مجالات العلوم الرياضية والطبيعية كانت هى المقدمات الاساسية والاصول العامة التى قامت عليها الحضارة الحديثة .

ولقد عمد الاسلام الى اقامة مفهوم كامل للحضارة : قوامه الحركة المادية والمعنوية فى نفس الوقت وحياطة التقدم المادى بالاخلاقوالتقوى وتوجهه الى صالح الانسانية وحماية المجتمعات من الفساد والانحراف . فالحضارة التى أنشأها الاسلام جماع الروحية والمادية ، والعقل والقلب ، والدنيا والآخرة، وقد رسمت حضارة الاسلام منهجا ثابتا قوامه النظرة الانسانية وطابع التوحيد والعدل والاخاء واستصفت

كل ما كان فى تراث الامم والحضارات القديمة فصهرت الجوانب الصالحة منه فى بوتقتها ، وظلت تقود العالم كله بسلاح الخلق والتقوى والرحمة والاخاء ، ولم تستطع المؤثرات الطارئة أن تغير من خصائص الاسلام وقيمه الاسلامية ، وهذا الترابط بين التقدم وبين المعنويات والماديات والمحاذير القائمة كالحدود والاخلاق والضوابط دون أن يفقد التقدم اخلاقيته أو تقواه ، هو وحده نقطة الخلاف بين الحضارة فى مفهوم الاسلام والحضارة فى مفهوم الغرب ، وهذه هى نقطة الانفصال بين الحضارة الغربية التى قامت أساسا على بواعث اليقظة التى بعثها الاسلام فى عالم الغرب فأخرجه من الوثنية ومن الرهبانية ودفعه الى العمل والحركة ، وصحح جانبا من مفاهيمه على أيدى لوثر وكالفن ، ثم كانت « التجريبية » التى حملها « بيكون » عن مدارس الاندلس وجامعاتها الاسلامية .

— ٢ —

غير أن الحضارة الغربية وريثة الاصول الاسلامية لم تلبث أن ارتدت الى أصولها اليونانية الوثنية والرومانية العبودية ، ووصلت بين الروح والمادة ، والعقل والقلب والدنيا والآخرة ، وأعلت الجانب المادى وحده اعلاءا كاملا واعتبره الاساس

الوحيد لبناء الفكر والمجتمع ، وانتقصت كل ما يتصل بالدين والاخلاق والمعنويات والقيم الروحية وحررت الحضارة من ضوابطها وحدودها وهدفها الاصيل الذى يرمى الى اسعاد البشرية عامة وليس اسعاد فئة خاصة أو أمة خاصة أو عنصر خاص .

وتتمثل مقومات الحضارة الاسلامية فى عناصر أساسية أهمها :

أولا : قامت الحضارة الاسلامية على أساس مفهوم الاسلام ، وقد أمدها القرآن بالروح والهدف ومؤشرات الحركة وضوابط العمل وأعطاها القوة والتماسك ، والموازنة بين مقاصد الروح ومطالب البدن والبعد عن الزهد والترف معا والتحرر من الجمود والتحلل معا ، وقد اتسمت الحضارة الاسلامية بالسماحة والانسانية والعالمية ، فقد حرصت على حماية حرية غير المسلمين واحترمت شعائرهم وفتحت أمامهم أبواب العمل ، وقد تمثلت مفهوما أساسيا هو طابعها الاصيل : الجمع بين الدنيا والآخر وبناء الحياة والعمل فيها على أساس من الاخلاق والتقوى والاخاء الانسانى والرحمة .

وقد ربطت العلم بالدين والسياسة بالاخلاق ، كما اتسمت بالبساطة والبعد عن التعقيد والصراع فالصلة بين الله والانسان مفتوحة دائما ، وقائمة أبدا دون وساطة لكهنة أو لمعبد ، والاسلام عبادة ومعاملة، وهو نظام مجتمع ومنهج حياة ، فيه رحابة التقبل لكل جديد متى كان صالحا ، والتفتح على آفاق الامم والحضارات يأخذ منها ويدع ويعطيها أيضا .

ومن هنا كانت حضارة الاسلام حضارة جامعة وحضارة وسطية ولها أساس ثابت مستقبل للمتغيرات، ولقد عرفت للمرأة حقها وحريتها ونظمت علاقة اليتامى والفقراء والارامل والخدم فى سماحة ورحمة ، ولقد كرمت العلم وشرفت العقل ولم تنس تكامل القلب والعقل ، واتسمت بطابعها المميز الذى لا ينصهر فى الحضارات أو العقائد ، وحافظت على مقوماتها .

كل هذا هو الذى أعطاها طابعها الخاص ومن هنا فقد اختلفت مع الحضارة الغربية حين التقت بها فى العصور الحديثة اختلافا شديدا وامتد الصراع عندما فرض على المجتمع الاسلامى أن يواجه الغزو الاستعمارى الحديث الذى حاول أن يفرض حضارته وقيمه .

لقد قامت حضارة الغرب على مفاهيم متناقضة تجمعت فى اطار واحد : هى الوثنية اليونانية والقانون الرومانى . وخرجت من مفهوم الرحمة والرهبانية المسيحية الى مفهوم الاستعمار بالقتل والارهاب وهو مفهوم رومانى وثنى يقوم على نظرية (السادة روما وما حولها عبيد) وخرجت من مفهوم الاعتقاد قبل الاقتناع الى مفهوم اعلاء العقل وحده ، وسيطرة الطابع المادى ، وخرجت من مفهوم الدين الى التحرر من القيم الاخلاقية والمعنوية واطلاق الغرائز والحسيات، كل هذا مع نزعة الاستعلاء العنصرى بالدم والعرق والجنس الابيض تاج الخليفة كما يقولون ، وماله من حق استعباد الملونين ، وقد ارتبطت هذه النزعة بالحضارة الغربية ارتباطا عضويا ومباشرا مما أفقدها مقومات الحضارة ولما كانت الحضارة لاتنفصل عن الدين فان انفصال الحضارة الغربية عن قاعدتها هو نذير انهيارها واندحارها .

ومن هذا التحول فى الهدف والغاية والاسلوب فان الحضارة الغربية اليوم تحلق بجناح واحد وتقف على شق واحد ، وتتعرض فى كل خطواتها للازمات الصاعقة ، وقد فرض ذلك عليها ما أطلق عليه الباحثون « أزمة العصر » وعندهم أن السبب فى أزمة الحضارة

اخلاقى محض ، وان الحضارة انما تبدأ فى الانهيار اذا أعوزها العامل الاخلاقى حتى ولو كانت الخـــــلافة الاخرى من الحضـــــارة مزدهرة ناشطة « والعامل الاخلاقى هنا يعنى الضوابط والحدود التى تقــوم بين الفضيلة والرذيلة والحلول والحرام والمعروف والمنكر، والحق والهوى ، والايمان والالحاد) وفى مجموعة رأى الباحثين أن هذه التحديات هى :

أولا : انفصال العلم عن الوازع الدينىوالرقيب النفسى .

ثانيا : انهيار القاعدة الاخلاقية للحضـارة .

ثالثا : ازدياد نمو الجوانب المادية للمجتمع وبطء نمو الجوانب الروحية مما يؤدى الى الاحتـــــلال بين القوى الفاعلة والقوى المنفعلة وهو ما يعبر عنـــــه اختلال التوازن بين العقل والقلب .

وقد شهد للحضارة الغربيةبالفساد والاضطراب عدد من أعلام فكرها .

يقول أرنولد توينبى : ان ازمة الحضارة الغربية الحديثة هى : « الدين » ، وأن الحضـــارة الغربية المتدهورة لا يمكن انقاذها الا بالدين ، ذلك لانهامصابة بالخواء الروحى الذى يحول الانسان الى قزم مشـــوه يفتقد عناصر وجوده الانســـانى ويعيش الحد الادنى من حياته ، وهو حد وجوده المادى فحسب مما يصيبه بأمراض السأم الروتينية ، وفقدان الهدففى كل مايأتى به ، ويحول حياته الى جحيم مشوب بالقلق والحيرة الذهنية والتمزق النفسى ، خواء روحى ، يحـــول المجتمع الى قطيع يركض بلا هدف كما تركضالقطعان، دونما تفحص لمعنىمسيرته الهوجاء كما يضطرالمدركون أحيانا الى اعلان انشقاقهم عليه » .

ويقول توينبى : ان الحضارة الغربية اليـــوم تعانى أخطر الازمات فهى حضارة علمانية لاحقـــة بالمسيحية تعيش على بقايا مختلفـــة من المبـــادىء المسيحية المشوهة وهى فوق كل ذلك مأخوذة ببـــدعة تقديسالفرد كفكرةالانسان الجماعى ، مجسدة فىأنظمة الدول الفاشستية والنازية والشيوعية والقـــومية والاقليمية » .

ويقول : لم تعن الحضارة مطلقا بالانسان من حيث تكامل وجوده بشقيه الروحي والمادى .

ويرى مالك بن نبى ان انحراف الحضارة يرجع الى فقدان التوازن بين العقل والروح ، على أساس أن كل حضارة لها أساس مزدوج : مادى وروحى وهو أساس لازم لكل بناء اجتماعى أهل للخلود .

ويقول مسخ خورى : لقد حسب هيجل أن أزمة العالم سياسية فحاول حلها بالدعوة الى تحقيق الدولة المثلى ، واعتقد ماركس أنها اقتصادية فحاول حلها بالدعوة الى تحقيق النظام الاشتراكى أما توينبى فأيقن أن حقيقة الازمة ليست سياسية ولا اقتصادية وأن هيجل وماركس يخلطان بين الاعراض والجوهر، وبين الوسائل والغايات وان الازمة فى نظر توينبى أزمة روحية .

ويقول ألبرت اشفتر : ان التقدم المادى فى هذه الحضارة أكبر بكثير من التقدم الروحى ، ولقد اختل توازن الحضارة فالاكتشافات التى جعلت قوى الطبيعة تحت تصرفنا على نحو لم يسبق له مثيل ، أحدثت ثورة فى العلاقات بين الافراد بعضهم البعض ، وبين الجماعات والدول ، لقد أثرت معارفنا وزادت قوتنا

الى حد لم يكن فى وسع أحد أن يتخيله ونحن نغالى فى تقدير انجازات الحضارة المادية دون تقدير لاهمية العنصر الروحى فى الحياة ان الحضارة الحديثة لا تنمو فيها الا النواحى المادية دون أن يواكب ذلك نمو متكافىء فى ميدان الروح ، وهى فى ذلك أشبه بسفينة اختلت قيادتها ومضت بسرعة متزايدة نحو الكارثة التى ستقضى عليها ، والطابع الجوهرى للحضارة لا يتحدد بانجازاتها المادية بل باحتفاظ الافراد بالمثل العليا لكمال الانسانية وتحسن الاحوال المادية والسياسية للشعوب والانسانية فى مجموعها .والحق أن العنصر الحاسم فى تقويم الحضارة ليس فيما أنجزته من أعمال مادية بل يتوقف على كون الفكر يسيطر على الاحداث أو لا يسيطر أن الحضارة الاوربية المعاصرة تعانى أعراض التحلل والانهيار . والسبب فى أزمة الحضارة سبب أخلاقى لان الحضارة تنهار اذا أعوزها العامل الاخلاقى ، حتى حينما تكون العناصر الخلاقة الاخرى من الحضارة مزدهرة ناشطة . وازدهار الحضارة تصحبه دائما آداب توقير الحضارة ونظرة شاملة الى الكون تبرر هذا الاتجاه الاخلاقى فاذا سادت هذه النظرة ازدهرت الحضارة ونمت ، اما اليوم فقد أصبحت وجهة النظر الاخلاقية للكون مسلوبة القوة ، ولذلك أخذ العالم يتخبط فى الظلام

الدامس ، والعوامل التى آزرت الانحلال وزادت من خطورته موقف الانسان الاقتصادى فانسان العصر الحاضر مرهق بالعمل ، وهذا الارهاق يحول بينه وبين القدرة على التأمل وحصر الذهن فى التفكير . وقد رافق التصور الاخلاقى للحضارة ورجحان الجانب المادى على الجانب الروحى زيادة التقدم فى المعرفة التى لا تقيم وزنا للنوازع الاخلاقية . ان مشكلة الحضارة مشكلة اخلاقية . ان الانسان لن تكون له قيمة حقيقية الا من خلال كفاحه ليكون ذا خلق واذا اعوزه الاساس الاخلاقي تداعت الحضارة .

ويقول الدوس هكسلى : أن فساد العالم يرجع الى دعوة الخطباء والشعراء والممثلين للتمادى فى الحياة المستهترة والاباحية ، وقد بالغوا فى مدح الحرية والتوسع فيها وان الشر كله يرجع الى تمرد الناس عن حياة الروح واندفاعهم وراء المادة وقصر جهودهم على الربح والشهوات واعراضهم عن المثل العليا ، وقد بالغوا فى مدح الحرية والتوسع فيها حتى أصبحت مرذولة مبغوضة كالسم الذى ينقلب داءا بعد أن كان دواء . وأن المثل العليا حقيقة لا شك فيها لانها ضرورية للعالم وهى الوسيلة للقضاء على الفلسفة المادية التى أعجب بها هواه الملذات والباحثون عن

مسرات الحياة بأنواعها ، وان النفوس البشرية لتضيع فى سبيل هذه اللذات وتفقد الثقة بالفضائل ، وقد أجمعت أرقى العقول فى سائر الازمان والاماكن على أن غاية الانسانية هى : السلام والمحبة والعدل .

ويقول سير (جون وولف) : ان الغرب الذى يتيه فخرا بطابع حضارته الوضعية الحديثة ، هذا الطابع الذى يطلق عليه (المودرنزم) أو العصرية التطورية قد قامر بكل رأس ماله على مائدة هذا المودرنزم بل وأفنى شخصيته الانسانية بكل طاقاتها الابداعية والروحية ، داخل دولابها الآلى الرهيب ، وقد أصبحت دول الغرب برمتها شوهاء الصورة من الداخل الى حد مخيف بعد أن سيطرت حضارة الآلة الديناميكية سيطرة عمياء بلهاء لا هدف لها ولا ناموس الا مجرد التطور الآلى الذاتى ، هذا التطور بل هذا الاندفاع الذى يسن بنفسه لنفسهقانون حركته مستقلا عن روح الانسان ومعنوياته مع انها تراث الآلاف من السنين .

ويقول هارلود لاسكى : ان حركة الانسانية فى مسالك الزمن مصدرها الاصيل وباعثها الاول ذلك الصراع الناشب فى أعماقها بين :

١ ـ سلطات الغريزة الذى يمثل الحرص على اشباع مطالب الفرد الضرورية ومطالب الجماعة .

٢ ـ سلطان المثل الاعلى الكامن فى ضمير الانسان ليهديه على الاسلوب الامثل والاصلح ولما كان الانسان يحيا بغريزته ووجدانه معا ، فالمعضلةالكبرى فى حياته هى كيفية الوفاق بين موجبات الغريزة وايماءات هذا الوجدان حتى لا تظل ذاته ميدانا لصراع مرير بين قوتين متعادلتين ، وأول سمة من سمات هذا العصر هو الشك والقلق وقد فقدت الحضارة ثقتها فى نفسها وايمانها العميق بحيوية القيم الثقافيةالسائدة وعجزت عن تحقيق ذلك الوفاق المنشود بين عالم المثل الاعلى الممثل فى كتابات الانسانيين وبين حقائق هذا الواقع الحافل بأهوائه وأطماعه وخصوماته ، ان الحضارة تمر بمحنة من الشك والخوف والالحاد وتميع المعايير الثقافية والقيم الاخلاقية بصورة تنذر بشر مستطير حـ حياة الفرد وحياة الجماعة » .

ـ ٤ ـ

وليس ما يقوله أهل هذهالحضارة الا دليلا اكيدا على انحراف الحضارة الغربية الحديثة عن قانون

المجتمعات وسنن الوجود فى بناء الامم والحضارات ، ذلك لان مجموعة العناصر المتناقضة التى تحتويها قد أحدثت هذا التضارب الشديد مع القوانين الانسانية فهى قد أخذت من الاسلام المنهج التجريبى وشيئا من العلوم الانسانيةولكنها عجزت أن تأخذ الوجهةالربانية الخالصة وأخذت من المسيحية المثابرة والاصرار ولكنها عجزت أن تأخذ منها الرحمة والاخاء وعادت تستقى مرة أخرى من ذلك النبع المسموم الذى جاءتالمسيحية لتخرجها منه وهو نبع (المادية الاباحيـــــة الوثنية) اليونانية فأفسدت ما أخذت وعجزت أن ترى الوجهـــة الربانية ، أو الرحمة الانسانية ، أو تجمع بين الاخلاق ومعطيات العلم ، أو تربط بين النفس والجسدوالروح والمادة والدنيا والآخرة .

ولقد دق المســيو بيتان آخر مســمار فى نعش الحضارة الغربية حين قال عام ١٩٤٠ :

لقد أتت الهزيمة من الانحـــلال فدمرت روح الملذات واللهو ما شيدته روح التضحية وانما أدعوكم قبل كل شىء أن تتهموا بأخلاقكم » بهذه العبارةخاطب بيتان شعبه موضحا له أســـباب الهزيمة ولكنه فى الحقيقة كان يصدر حكما على الحضارة الغربية كلها.

ولقد تعالت الاصوات فى كل مكان تقول ان العلم قادر على أن ينقذ الحضارة : ويقول الكسى كاريل انه لا يستطيع : ذلك ان معارفنا العلمية فى الزمن الحاضر غير وافية ، فنحن نعرف كثيرا عن الحياة ولكنا لانعرف كثيرا عن أنفسنا ، عاجزون عن الملائمة بين نفوسنا وبين هذا العالم الميكانيكى الذى خلقناه ، والباعث على ذلك خطأ قديم ، عندما فرقوا بين الكم والنوع ، وعنى بالاول فارتقى العلم المبنى عليه وكان ازدهاره باهرا ، حصروا همتهم فى الكم وأهملوا الكيف فحماستهم فى سبيل الوزن والقياس حولت الانسان الى عوالم الطبيعة والرياضة والكيمياء .

ان الصفات التى لا تقاس فى الانسان أهم من التى تقاس . هناك خطأ جاليليو فى التفرقة بين خواص الكم وخواص الكيف وهناك خطأ ديكارت فى الفصل بين الاشياء المادية والاشياء الروحية ، والاهتمام بالجسم دون العقل .

هذا الخطأ حول الحضارة الى الطريق التى أفضت الى انتصار العلم وانحطاط الانسان وعلى منقذى العالم أن يتوفروا على دراسة الانسان من ناحية الكم والنوع معا ، وعليهم دراسة العقل الانسانى وهو

المجهول العظيم أن يقدم العلم فيما يتعلق بالغـــذاء والصحة وشفاء الامراض قد تم على حســاب النمو العقلى والمعنوى . والعقل لا ينحصر فى أســاليب التفكير بل يمتد الى الدين والتصـــوف والجمـــال والروحانيات » .

ويقول الكس كاريل : ان الامم التى بلغت منها الحضـــارة الصـــناعية اعظم نمو وتقدم هى الآخذة فى الضعف والتى ستكون عودتها الى الهمجية والوحشية أسرع من سواها . ويتحدثون عن أثر الحضـــارة فى المجتمع الغربى : ذلك الاثر العميـــق حيث ازدادت الجرائم وانحطت الاخلاق وانحلت الروابطوتفاقم القلق والمرض والانهيار العصبى وادمان المخدرات،ويبحثون الآن عن الدوافع الحضارية التى تدفـــع أكثر من ألف شخص للانتحار فى اليوم الواحد كما يبحثون عنأسباب استفحال الجريمة فى المجتمع المقدم . ويبحثـــون عن ما أطلق عليه « طاعون المخدرات » .

وتشير الظواهر الى انتشار الامراض الزهرية وخاصة فى أوساط الشباب فهناك ثلاثة ملايين اصابة جديدة بالامراض الزهرية وقالت الابحاث ان ذلك يعود الى التدهور الاخلاقى والانحلال الشديد الذى تشهده

المجتمعات الغربية وأبرز مظاهر الفساد فى المجتمعات الغربية : العنف والجنس .

ويشير الى هذا المعنى توفيق الحكيم حين يقول : « سر المحنة الفكرية فى اوربا اليوم ، أن الناس قد أطرحوا (العالم الآخر) الذى تصوره الاديان ولم يعرفوا لهم غير عالم واحد هو الارض ، ولم يعرفوا لهم الا اسلوبا واحدا هو المنطق العقلى والتجريب العلمى ، فاوربا الآن قلقة حائرة فى أزمتها الراهنة ولا شىء فى داخلها يستطيع انقاذها فان التكالب على هذا العالم الواحد : عالم الواقع والدنيا قد أزاغ الابصار وان وسائلها المادية لا تهيئها الا لفهم مظاهر الحياة السطحية » .

والحق أن الحضارة الغربية الحديثة لم تعد تملك امكان حل أزمتها الخانقة ، بعد أن عقمت التربة وفسد الهواء ، فهى تقفز من حل الى حل ، ومن منهج الى منهج ، محاولة الخروج من الازمة التى تعتصرها وتحيطها من جميع الاطراف وتسد عليها منافذ الهواء والنور ، دون جدوى . منذ أن تركت رسالة السماء : ومنذ عجزت تفسيرات الدين عن اعطائها عطاء النفس والروح مرتبطا بمنجزات العلم ، لم يكن هو الدين

ولكن هى تفسيرات الدين ، ولو أنها التمست الدين الحق لوجدت فيه مطمح الامن وسلام النفس . فشلت الفردية لانها اندفعت تستعلى على الناس بالدم الابيض وقهر الشعوب الملونة واحتقارها ، وفشلت الجماعية لانها دفعت المجتمعات الى الصراع الطبقى وأهـــدرت كرامة الانسان وأذلت الفرد واحتقرته فهو فى نظرها ليس الا ترسا فى آلة ، ودمرت الاخوة الانسانية باثارة روح البغضاء والحقد بين مختلف الطبقـــــات وكانت الدعـــوة الى القومية عنصرية لانهـــا عـــادت جيرانها وفشلت الدعوة العالمية لانها كانت تســـتهدف سحق الامم والقضاء على ذاتيتها وكيانها ، وحملت رياح المادية الفكر البشرى الى كل أفق فليس فى الكون شىء ثابت والدين نبع من الارض ولم ينزل من السماء ا والاخلاق نسبية وغاية الحياة الجنس واللقمة وحاولت الفلسفات المادية الغربية أن تقول بأن الدين مرحلة فى حيـــــاة الامم .

وان الامم المتحضرة قد تجاوزت هذه المرحلة ، وأن الدور الذى احتاجت البشرية فيه الى الدين قـــد انتهى ، وهى بذلك هدمت نفسها ، وحطمت كيـــانها بيدها ، فالدين ليس مرحلة فى حياة الامم ولكنه عمـــاد حياة البشرية نفسها وقاعدة الحضارة ، فهـــو عنصر

اصيل وكيان عضوى فى تركيب الانسان — عقله وروحه وحياته ، لا سبيل الى انفصاله عنه أو انتزاعه منه ، ومنذ أخذ الغرب يتجاهل الدين (بمعناه الحق) ويتجاوزه فانه يواجه الآن أخطر أزماته أن تجربه اوربا فى هذا الصدد لا تفيد البشرية بل تسىء اليها ونحن نرى أن الغرب بعد أن ترك الدين قد فقد كيانه الحقيقى ، لقول كرلس موريسون رئيس أكاديمية العلوم بنيويورك ، لسوف تنتهى الحضارة بدون العقيدة والدين ، ولسوف يتحول النظام الى فوضى وسوف ينعدم التوازن وضبط النفس والتماسك وسوف يتفشى الشر فى كل مكان . وانها لحاجة ملحة أن تقوى صلتنا وعلاقتنا بالله اذا أردنا الحياة .

ويتحدثون عن الوصول الى القمر ويرونه قمة انتصارات الحضارة ، ويقول الباحثون « ان الحضارات حين تبلغ الذروة فى الكشف والاختراع والعلم ومظاهر التقدم المادى كثيرا ما تصاب بتفكك فى المجتمع وانصراف الى لذة الجسد والاغراق فى الماديات ، والقول بأن الوصول الى القمر دليل على أن الحضارة الغربية لا تزال فى أوجها قول ينقصه الدليل وينقصه التفكك المشاهد فى مجتمعاتها والانسياق وراء الترف واهدار القيم الانسانية وينقصه ما هو معروف عن

دورة الحضارات وانتقالها من مكان الى مكان » .

وحينما تعطى الحضارة الغربية كل شىء تفقد كل شىء ، حين تعطى الحريات المطلقة بين الرجل والمرأة فى العلاقات وتيسر الرزق الوفير والمال الكثير، وحين يستطيع كل انسان أن يعمل ما يريد ، وأن يرفل فى الترف والرخاوة والتحلل ما يشاء عندئذ ينصدع المجتمع والانسان معا ، فيتفشى الانتحار والاقدام على الجرائم وانهيار الاسرة وذيوع المخدرات والشذوذ . والامراض النفسية ويقتل الغنى روح الكفاح والعزيمة والارادة ومعنى هذا أن مفهوم الغرب فى الحضارة فاسد ، لان الحضارة فى الحقيقة ليست تقدما ماديا مقطوع الصلة بالاخلاق والضوابط والحدود التى تحفظ الكيان الانسانى والكيان الاجتماعى ، وهذه الضوابط والحدود التى انفصلت من التقدم هى الدين الذى يرفضه الغرب والذى هو مصدر أزمته ، فان التفوق العلمى يعلى شأن الانسان من ناحية المادية ولكنه يترك ناحيته المعنوية خلاءا وظلاما ومن ثم تقع الازمة القلق والتمزق والغربة فلا بد من ان توازن الحضارة بين معطيات المادة وآفاق الروح .

وهذا هو الفارق العميق بين مفهوم الاسلام للحضارة ومفهوم الغرب .

ان الحضارة الغربية يسرها فكر مادى تلمودى

• اباحى يضع أهداف اليهودية العالمية فى اطار نظريات تبرر الانحلال والتدمير فلسفيا وهى فلسفة تخرج عن نطاق العلم التجريبى ولا تخضع له وهى فى أسوأ صورها تتمثل فى الشيوعية ولكنها فى المجتمعات الاخرى تنطلق من خلال نظريات التحليل النفسى لفرويد والعلوم الاجتماعية ومفاهيم الاخلاق والتطور والفن وهى كلها مفاهيم زائفة تحاول أن تبرر الجريمة والاباحية والالحاد وتهدف الى تدمير الاسرة الانسانية ونقل الناس الى الوثنية من جديد .

ويعرف الغربيون أن (أزمة العصر) هى : فى الانفصال بين المادى والروحى ، وبين العقل والقلب ولكنهم عاجزون عن ايجاد حل للتكامل والموائمة ذلك لان تركيب فكرهم ومجتمعهم وعقائدهم قام على أساس الانشطارية وهناك قوى ضخمة عاتية تحول بينهم وبين التماس طريق التكامل الجامع : طريق الاسلام ، تلك هى القوى التى ما تزال تأمل أن تسيطر على العالم وتحوله الى امبراطورية صهيونية تلمودية فهى التى ما تزال تدمر هذا العالم بالمسرح والفن والاباحية وتحارب الدين وتطارد الاخلاق والقيم .

ولقد فهم المسلمون هذا ووعوه وعرفوا ان الحضارة

الغربية تمر اليوم فى دور الدمار فمن العبث أن يطلب اليهم الانضمام اليها أو اعتناق فكرها الذى وصل الى أقصى درجات التحلل والانحراف ، وهم لا يرون لانفسهم ولا للعالم طريقا الا طريق الاسلام ، فهو الذى يقدم للبشرية حضارة الانسانية : لا حضارة جنس معين، ولا أيدلوجية معينة ، انها حضارة تستمد وجودها من الترابط بين الاذلى والبشرى ، بين الثوابت والمتغيرات، بين الدنيا والآخرة : حضارة التوحيد التى تقوم على اساس الايمان بالله الواحد الاحد خالق كل شيء ، والتى تعمل على اقامة المجتمع الربانى فى الارض ايمانا بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر وقوامها الاخاء البشرى والعدل والرحمة واقرار وحدة النوع الانسانى رغم تنوع أعراقه وأوطانه وهى حضارة تقوم على النظرة الشاملة الجامعة للانسان والحياة والمتوازنة بين المادية والروحية التى تجعل من الضوابط والحدود والاخلاق اطارا لحركتها مع الحفاظ على شخصية الانسان الذاتية ودفعا حثيثا من الانانية الى الغيرية ومن الفردية الى الاجتماعية فى ظل الخير والعدل والرحمة .

ان معركتنا الحضارية فى مواجهة التحدى الاستعمارى والصهيونى والماركسى تدفعنا الى أن نبدأ

من النقطة التى بدا منها المسلمون فى العهد الاول ، لنبنى كيانا انسانيا ربانى الطابع فوق ووسط صراعات العصر ، بأخذ العلم الحديث وصهره فى بوتقة التقوى الاسلامية ، ليكون زادا للبشرية كلها ، وليس لامة منها دون أمة اخرى ، انه فى الامكان أن تتخذ الامة الاسلامية التكنولوجيا الحديثة وقد أعطيت المال والتفوق البشرى لتصهره فى اطار التوحيد الخالص وتقدم للبشرية نموذجا جديدا من الحضارة يقوم على العدل والرحمة والاخاء البشرى ويجعل معطيات الارض كلها للناس جميعا بالعدل والمرحمة .

ولن يذل المسلمون أبدا من أجل الحصول على التكنولوجيا ولن يخلعوا قيمهم وذاتيتهم ، فهى مقدمة عندهم على كل شىء ، ولكنهم سيقدمون للبشرية شيئا جديدا عجزت عنه الحضارة الغربية الحديثة ، سيقدمون لها شفاء الصدور وسكينة القلوب وهدى الافئدة مع أعظم معطيات المادة فى جماع واحد ، عندما تسلم الامم أنفسها لله خالصة ، وتعرف أن ربها الرحمن هو صاحب العطاء الاول والاخير فيما بين يديها من حظوظ العلم والتقدم والحضارة وتعرف أن مصادر العلوم كلها من الله ، وأن معطيات الحضارة كلها يجب أن توجه فى سبيل بناء المجتمع الربانى القائم على أداء حق الله

وتطبيق شريعته والتماس حدوده وضوابطه التى هى لحماية الانسان والاسرة والمجتمع والحضارة من عوادى الانحراف والانهيار :

(ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء) .

وسوف يذكر المسلمون أن « الغرب » قد حال دون أن يمتلك المسلمون أداة العلم والتكنولوجيا وحجبها عنهم ، وأعطاها بديلا منها مفهوما فلسفيا يستهدف به اخراجهم من قيمهم وتاريخهم وتراثهم وذاتيتهم حين دعاهم الى ان وسيلة النهضة الوحيدة هى فى « علمنة الذات » واخراجها من دينها وأخلاقها ، وتغربها وانتقالها الى العالمية والاممية فى أشد مراحل فساد هذه العالمية وتحللها واضطرابها . هذه الدعوة المسمومة الى اخراج المسلمين من ضوابطهم الاخلاقية وقيمهم المعنوية وتاريخهم وتراثهم بوصف انها من القديم البالى المعوق عن التقدم الحائل دون النهضة .

ولقد استطاع المسلمون أن يكسروا هذا القيد : وأثبتوا أنهم قادرين على امتلاك أحدث أدوات العلم الحديث واستعمالها ، على الرغم من احتجاز الغرب

لها واسرافه فى معطيات الترف والمتع الزائفة والفنون المنحرفة والتحلل الخلقى ، والملابس والازياءوالمودات والعطور وتصفيف الشعر والاغانى والمراقص ، هذه التى يصدرها الى عالم الاسلام بغير حساب .

ان كلمة الحضارة لها فى الاسلام معنى مختلف تمام الاختلاف عن المعنى الغـــربى الوافد الذى يراد فرضه اليوم على المسلمين ، وأبرز ما هنالك النظرة الجامعة الاسلامية والنظـــــرة الانشطارية الغربيـــة فالمسلمون يفهمون الحضارة بمعناها الجامع بين تحضير المجتمعات وتحضير النفس الانسانية ، لا يضحون فى سبيل التقدم المادى بالنفس الانسانية لتصبح مدمرة ممزقة تعيش فى كهوف الخوف والشك والتشاؤم على النحو الذى نراه فى مجتمع الغرب اليوم ، نحن نعرف أن الحضارة الحديثة التى ندعى اليها ويطلب الينا أن نأخذها هى سلوك وتقاليد واسلوب عيش وحيــــاة ينسجم من الذاتية الغربية ويتعارض معنا ، اما العلم فهو وحده الذى هو حق كل الامم أن تأخذه لانه عالمى، أما نظريات الاجتماع والاخلاق والنفس والتربية فلكل أمم مناهجها التى تتفق مع طبيعتها وعصرها وبيئتهـــا ومواريثها الثقافية وعقائدها . ونحن لا نقر مفـــاهيم الغرب فى هذا المجال ولنا قيمنا التى لا تستطيع أن تبنى

حضارتنا الا بها وعلى أساسها : صبغةالله ومنأحسن من الله صبغة ، وشرعة الهدى والحق الى أن يرثالله الارض ومن عليها .

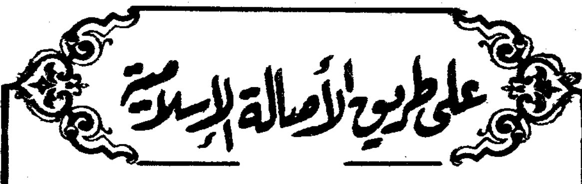
ان الغربيين يخدعوننا حين يعطوننا أسلوب عيشهم بديلا للعلم والتكنولوجيا لانهم لا يريدون لنا ان نحقق وجودنا وان نظل تابعين لهم : معبرا ومصدرا للخامات وسوقا للتجارة ، ولا بأس من ذلك فى حدود ذاتيتنا الكاملة وأسلوبنا الربانى فى الاسرة والمجتمع والعلاقة بين الابوة والبنوة وبين الرجل والمرأة ، على أساس الاخلاقوضوابطالمجتمع وحدود الله ولنيضحى المسلمون بزخرف الغرب فى سبيل التنازل عن قيمهم ومقوماتهم ، مهما وصفت بأنها بدوية أو متأخرة ، فهى مصادر الصمود الحقة التى أعانتنا على الانتصار فى كل معارك الغزو وستظل عدتنا فى مواجهة كل عدوان .

ان هذه الدعوة الى الانصهار فى حضارة الغرب انما تستهدف القضاء على قوى الصمود والحياةوالبقاء التى علمنا اياها الاسلام والتى لا تزال باقية فى أعماق الامة فى أحشائها وهى عدتنا فى النازلات ولقد سقطت تلك الدعوات المسمومة التى دعت المسلمين الى قبول

الحضارة الغربية حلوها ومرها ، وخيرها وشرها وما يحمد منها وما يعاب وعرف المسلمون أنهم كانوا مخدوعين حين قبلوا الاحتواء الغربى الذى أنزل بهم الهزائم والنكبات فى السنوات الثلاثين الاخيرة ، وعرفوا أن كلا المنهجين الليبرالى والماركسى قد وضعا المسلمين فى طريق الفناء وأن الاسلوب الوحيد لبناء حضارية اسلامية انما هو التماس المنابع الاساسية من القرآن على نفس الطريق الذى سار فيه محمد بن عبد الله وصحبه .

رقم الايداع بدار الكتب ٧٩/٣٨٣٢
الترقيم الدولى ٦٨ — ٧٣٠٨

المطبعة الفنية تليفون : ٩١١٨٦٢ — القاهرة



تعالج قضية هامة من القضايا المعاصرة التى تتطلب بيان وجه الإسلام فيها .

١- ألف مليون مسلم على أبواب القرن الخامس عشر الهجرى
٢- الاستعمار والإسلام
٣- الصهيونية والإسلام
٤- الحضارة فى مفهوم الإسلام
٥- التاريخ فى مفهوم الإسلام
٦- فساد نظام الربا فى الاقتصاد العالمى
٧- الدرة المغتصبة بعد ثلاثين عاما « فلسطين »
٨- يقظة الإسلام فى تركيا
٩- أكذوبتان فى تاريخ الأدب الحديث
١٠- التربية الإسلامية هى الإطار الحقيقى للتعلم

أنور الجندى

دار الأنصار

٨١ ش البستان ناصية شارع الجمهورية - عابدين ت ٩٣١٥٨١